المحاضرة الثانية

خصائص السرد العربي القديم

يزخر الموروث السردي العربي بأشكال سردية متنوعة وثرية بأساليب حكائية مختلفة تعمل على جذب المتلقي وتشويقه.

وإن القارئ المتصفح لأشكال السرد العربي القديم يلحظ أن بنيتها تحكمها خصائص عدة تحضر في النصوص السردية وبدرجات متفاوتة، ومنها:

-**الإسناد**: تستهل أغلب النصوص السردية العربية القديمة بمطالع استهلالية اسنادية معينة، وقد تختلف من نص إلى آخر من حيث الصيغة اللغوية، لكنها لا تختلف من حث الدلالة أو الغاية ومنها حدثني، بلغني، زعموا أن، قال الراوي، كان يا مكان، يحكى أن ، وهي مطالع تعلن بداية السرد، وهي حيلة من السارد للفت انتباه المتلقي وإيهامه بواقعية الحدث، وإذا ما تتبعنا السند تاريخيا فلأن له علاقة بالإسناد في الأحاديث النبوية الشريفة والذي يدل على صدق النقل. وعادة ما يكون الرواة في السرد القديم لا وجود لهم في الواقع وهم شخصيات وهمية خيالية كعيسى ابن هشام في مقامات الهمذاني مثلا. ومن الصيغ كما ذكرنا:

-**زعموا أن:** ويرى عبد الملك مرتاض أن أول من استخدم هذه الصيغة هو عبد الله بن المقفع في كتابه كليلة ودمنة، ، وأكد أن هذه الصيغة ظلت لازمة سردية؛ فهي أم الأشكال السردية، وهي أداة تنفي الوجود التاريخي وتثبت الصيغة الخيالية الخالصة للعمل السردي، والمؤكد أن هذه الصيغة تزيد من عنصر التشويق.

-**حدثني:** ظهرت بصورة واضحة في حكايات ألف ليلة وليلة، لكن الجاحظ أول من استخدمها قبل ذلك كما تذكر الكتب، وهذه العبارة مستقاة من رواة الحديث النبوي الشريف، وكان أصل هذه العبارة نقل الواقع من التاريخ، فهي تقوم تثبت الرواة في نقل النصوص ، وهي بذلك تفرض ذلك النوع من الصدق الفني.

- **بلغني:** وهي عبارة تكثر في ألف ليلة وليلة، وتمنح للسارد سلطة إضافية في الحكي؛ فقد يكمل ما وجده ناقصا.

- قال الراوي: وتكثر في سيرة بني هلال، وهي صيغة توضح أن ينقل ما يزعم أنه كان قد سمعه من راوية أول محاولا إضفاء نوع من الواقعية التاريخية على ما يحمله من أخبار

- **التضمين**: يعد التضمين الحكائي آلية تخضع لها كثير من النصوص السردية التراثية القديمة ، فثمة الحكاية الإطار هي بمثابة المحور العام للعملية السردية تتوالد عنها حكايات أخرى فرعية تتكون ضمن هذا الإطار العام وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها بصورة عنقود من الحكايات القصيرة التي يغذيها ذلك الإطار، مثل حكاية ألف ليلة ولية التي تتشكل من حكاية إطار تحتوي حكايات فرعية عديدة، تتمثل الأولى في قصة شهرزاد مع الملك شهريار ولعبة الحياة والموت، في حن تتشابك الحكايات الفرعية وتتقاطع مشكلة بنية سردية متعالقة وظيفتها الأولى تأجيل الموت في كل ليلة، فشهرزاد كانت تحكي للملك كل ليلة قصة ولا تكملها وتتركها لليلة القادمة وهكذا يتركها الملك لا يقتلها رغبة في إكمال القصة المشوقة، كما يحضر التضمين في كليلة ودمنة الذي تتخلله حكايات صغرى متخذة حيلة التشويق والتحفيز وإثارة المتلقي من خلال عبارة" من فعل كدا وكذا فسيكون مصيره مثل..." فالقصة الإطار بين الملك دبشليم والفيلسوف بيدبا، الذي كان يقدم له مجموعة من القصص للنصح والإرشاد لقيادة الرعية والبلاد.

- **العجائبية:** تبنى أغلب النصوص السردية التراثية على عنصر العجائبية، وهي تعمل على خلق عنصر التشويق والفضول في معرفة إسرار وخفايا ونتائج الحكايات، ويظهر ذلك بشكل كبير في حكايات ألف ليلة وليلة؛ إذ تكثر فيها الأماكن العجيبة والغريبة، إلى جانب المغامرات العجيبة والمفارقة للزاقع التي يقوم البطل، ولعل ذلك ما يبرر استمرار وتتابع عملية السرد القائمة بين شهرزاد وشهريار، "وتتجلى العجائبية في الليالي من خلال مزجها بين الخيال والواقع الحقيقة والخرافة وتكسيرها للحدود بين عوالم الإنس والجن، وتتعامل مع الحيوان كما تتعامل مع الإنسان والعكس بالعكس وقد يمسخ الإنسان فيها حيوانا ويعود الحيوان إنسانا كما كان، وهي تكشف عن عوالم السحر والخوارق وترتقي بالمألوف إلى مستوى الغريب والعجيب"

تحضر العجائبية بصورة كثيرة ومتنوعة في صورة الشخصية التي تقوم بأفعال خارقة أو انها تمسخ في صورة حيوان أو نجد نصفها إنسان والنصف الأآخر حيوان أو من خلال التباعد الزمني والانتقال من عصر إلى عصر أو في الأماكن الغريبة ؛ التي ينتقل البطل فيها في لحظة إلى بلاد بعيدة وكل ذلك شكل من أشكال العجائبي.

ولقد استطاعت شهرزاد من خلال عنصر العجائبية وكل ما يثير الدهشة والإكثار من صور العجيب في المكان والزمان والشخصيات أن تسحر شهريار بهذا العالم العجيب الغريب المليء بالسحر والأسرار والطلاسم. إلى جانب نص ألف ليلة وليلة يحضر نص "رسالة الغفران" للمعري لتقدم رحلة سردية متخيلة إلى عالم الجنة

والنار وكلها عالم من الغرائبية واللامعقول التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي الذي كانت وجهته إلى عالم الجن دليله هناك كائن من الجن اسمه "زهير ابن نمير"، الذي يرافق البطل إلى وادي الجن؛ حيث يعرفه بكل ما هو موجود هناك وفي هذا الوادي المليء بالمغامرات الغريبة نسج ابن شهيد نصه. وحضور الجن في النصوص يضفي سمة العجائبية عليها، فهو ينتمي إلى عالم الغيبيات

المراجع:

-سعيد يقطين، السرد العربي القديم، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006،

-عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.

-شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانتيستيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2009

فايزة لولو، خصائص السرد العربي القديم، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، ع19، جوان، 2007